مشاهير الزمان

مدَّ البحث العلمي رواقهُ على كل ما نراهُ في الارض والسماء جماداً كان او نباتاً او حيواناً من ذرَّات الهباء المتطاير في الهواء الى الشموس السابحة في جلَد السماء. ومن الزوفا النابت على الحائط الى ارز لبنان المتوشح بالعظمة والبهاء . ومن اصغر الميكروبات التي لا ترى الاَّ باعظم المكبرات الى الانسان رب النهى وسيد المخلوقات . ولم يقتصر على ذلك بل تناول كلّ ما عُرف من نواميس الكون وشرائع العقل وملابسات الانسان حتى تاريخهُ وارتقاؤهُ في مراقي العمران خضعا للبحث العلمي كما يرى القارئ من مقالة اخرى في هذا الجزء . وآخر ما وقفنا عليهِ من ذلك بحث مستفيض عن شهرة الناس بيَّن فيهِ واضعهُ انهُ يمكن الاستدلال على شهرة المشاهير ونسبة بعضهم الى بعض بما تشغلهُ ترجماتهم في المعجمات الكبيرة. الاَّ ان الباحث (وهو الاستاذ مكين كاتل من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة) اقتصر على بعض المعجمات الاوربية والاميركيَّة اثنان منها انكليزيَّان واثنان فرنسويان وواحد الماني وواحد اميركي وهي اشهر المعجمات واوسعها وقد فتش في كلٍّ منها عن الالف الذين شغلت سيرهم اوسع مكان فيهِ فاجتمع معهُ ستة آلاف اسم ثم اختار منها الاسماء التي وردت في ثلاثة من هذه المعجمات على الاقل فبلغ عددها ١٦٠٠ فانتقى منها الالف الذين ترجماتهم اطول من ترجمات غيرهم ورتَّبهم حسب طول ترجماتهم في المعجمات الستة وقال انهُ اكتشف بذلك اشهر المشاهير حسبما قرَّ عليهِ قرار مؤلفي تلك المعجمات. ومعلوم انهُ لو اضاف اليها المعجمات العربية والهنديَّة والصينيَّة لاضطرَّ ان يحذف بعض الاسماء التي ذكرها ويضيف اليها غيرها ويغيّر وضع بعض الاسماء الشرقية . وقد قال انهُ ليس في سائر اللغات الاوربيَّة معجمات يعتمد عليها ومن رأيهِ انهُ لم يقم في اوربا واميركا رجل مشهور الاَّ وسيرتهُ مذكورة في المعجمات التي اعتمد عليها ولذلك فهي تمثل كل المشهورين عند الاوربيين والاميركيين ونسبة بعضهم الى بعض

وقسم هؤلاء الالف الى عشرة اقسام كل قسم منها يشمل مئة من المشاهير رجالاً ونساء ولولا ضيق المقام لذكرناهم كلهم ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ فنقتصر على ذكر اشهرهم في ظننا حسب الترتيب الذي اوردهم فيهِ اما المئة الاولى فنذكر كل من ذكر فيها ليرى القراء كم يعلمون من اسماء المشاهير

المئة الاولى — نبوليون بونابرت . شكسبير . ڤولتير . باكون . ارسطوطاليس . غاتي . يوليوس قيصر . لوثيروس . افلاطون . نبوليون الثالث . بُرْك . هوميروس . اسحق نيوتن .

شيشرون . ملتون . الاسكندر المكدوني . بت . وشنطون . اغسطس قيصر . ولتون . رفائيل . ده كارت . كولمبوس . كنفوشيوس . بن . ولتر سكوت . ميخائيل انجلو . سقراط . لورد بيرن . كرومول . غوتاما . كنت . ليبنتز . لوك . ديوستنس . ماري ستورت . كلفينوس مولير . لنكلن . لويس فيلب . دانتي . روسو . نيرون . فرنكلين . غاليليو . جنصن . روبسبير . فردرك الكبير . اورليوس . هجل . بتررك . هوراس . كارلس الخامس الالماني . ميرابو . اراسموس . فرجيل . هيوم . غيزو . جبون . باسكال . بوسيه . هُبس . سوفت . تيرس . لويس الرابع عشر . وردسورث . لويس السادس عشر . نلسن . هنري الثامن . اديصن . ثيديدس . فوكس . راسين . شلّر . هنري الرابع (فرنسا) . هرشل . تاسُو . جفرصن . بطليموس كلوديوس . اوغسطينوس . يوب . مكيافلي . سويدنبرج . فيلبس الثاني . ليوناردو ده ڤنسي . جورج الثالث . جوليان . ڤيثاغورس . ماكولي . روبنس . برنس . موزار . هميلت . كونت . كوزن . كيثه . يوستنيانُس . يوريبدس . كامونس

من المئة الثانية — نلون . كارلَيل . يوس التاسع . پت . هنيبال . سينوزا . شاتوبريان . ابيلارد . دارون . مازارين . اليصابات ملكة الانكليز . اوڤيد . جان داوك . ليثي . نورنيل . دالمبر . بطرس الاكبر . ماركوبولو . لينيوس . بالمرستون . لامرتين . تنيصن . فلوطرخس . شارلمان . ارسطوفانيس . رشليه . فكتور هيغو . دزرائلي . يوجنّس . تيشيان . البيروني . دكنس . كبلر . تراجنس . قسطنطين الكبير . لافونتين . فان ديك المصور . مدام ده ستايل . ابقراط . ديدرو . نيبر . جورج سند . طيباريوس قيصر . بيل . القيصر نقولا الاول . جون ستورت مِل . صوفقليس . وبستر . دوق ملبرو . سنيكا . كاثور . بفون غُلدسمث . القيصر اسكندر الاول . لويس الخامس عشر . وجرس باكن . بركليس . هيرودوتس

ومن الثالثة — دانتي . فردرك الثاني (المانيا) . كاترين الثانية (روسيا) . مرقص انطونيوس . لقريتيوس . بياي . لافايت . كورتز . يتوڤن . مدام ده ستئيه . زينفون . هارفي . جوفنل . الفردوسي . غوتنبرج . غاريبلدي . اريوس . ايقورس . متردات . ايرونيموس . كانوڤا . غاي لوساك . نيبر . جمس وط . اراغو . لاغرانج . بنصن . ده فو . ركاردس الاول . بلينيوس الاكبر . طاشيتوس . باسيليوس

ومن الرابعة — لونغفلو . منتسكيو . زروستر . فكتور عمانوئيل . بندار . فراداي . القيصر اسكندر الثاني . ماريا تريزا . وغنر . بريستلي . جوزفين . ثكري . كوبرنيكس . كارنو .

فيلو . ابن رشد . لوبُلا ماري انطوانت . وسلي . هملتن . ابن سينا . وشنطون ارفنغ . تيمور لنك . بكستر . همبلت . جنّر . ليبغ . اغاسز . محمد علي . ولسي . مولون . لافوازيه

ومن الخامسة — فيدياس ارخيدس . ارمينيوس . ليكرغس . فرنكلين . جالينوس . الكسندر دياس . بلزاك . رشليو . رنان . ثيودوسيوس . سترونس . باخ . كاتو الاكبر . بنيان . انطونيوس يوس . سترابو

ومن السادسة — اقليدس . محمد الفاتح . غمبتا . السلطان محمود . اكلندس . هيرودس . تمستكليس . رمفرد . طيطس . مدام رولان

ومن السابعة — صلاح الدين . جنكيزخان . مجلان . يوسيفوس . الامام علي . كرومول . بلينيوس الاصغر . لامارك . ثولطا . كبريان . ديوكاتيان . جون هرشل

ومن الثامنة — صافو . ايامنتداس . جورج اليوت . نيوتن . كليوباطرة . زينون . اسبسيانوس . اغريبا . كلبر . ليل . كاسيني . لالند . هبرخس . فولته

ومن التاسعة — نادرشاه . لقنستون . ابكتتس . ملتس . كلود لورين . ثيوقريطس . امبدقليس

ومن العاشرة — السلطان سليمان . ايوب . البرنس البرت . فردرك وليم (بروسيا) . سمونيدس

وقد اغفل الكاتب ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليهِ رجال الدين بان شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر

والناظر في سيَر هؤلاء المشاهير وغيرهم من الذين لم نذكر اسماءهم يرى انهم قلما يتفقون كلهم في امر من الامور فان بعضهم ورثوا العظمة والشهرة عن اسلافهم وبرّزوا فيهما ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر العربي

وانّي من القوم الذين همُ هُمُ ... اذا مات منهم سيد قام صاحبُهْ
نجوم سماء كلما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوي اليهِ كواكبُهْ
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبُهْ

او كما قال الآخر

انّا لنبني على ما شيدتهُ لنا ... آباؤنا الغرُّ من مجد ومن كرَمِ
اني اذا كان قومي في الورى علَمًا ... فانني علَم في ذلك العلَمِ

او كما قال الابيوردي

ورثنا العلى وهي التي خُلقت لنا ... ونحن خُلقنا للعلى والمحامدِ

ابًا فابًا من عبد شمس وهكذا الى آدم لم ينتنا غير ماجدِ

ومنهم العصامي الذي يتغنَّى بقول الطغرائي القائل

وان كرُمت قبلي اوائل اسرتي فاني بمحمد الله مبدأ سؤددي

ومنهم من تُسنَد اليهِ العظمة وتلتصق بهِ الصاقًا فيضفو عليهِ كالثوب الطويل على الرجل القصير . وقد يكون العظيم ذكيَّ الفؤاد وقد لا يكون ذكيَّ الفؤاد عظيمًا . وقد يعمل المرء اعظم الاعمال ولا تبلغ شهرتهُ شهرة من يأتي بعدهُ ويبني على اساسهِ كما ترى في السيرتين المنشورتين في هذا الجزء فان صاحب السيرة الاولى شيخ من نوابغ العلماء واذكاهم عقلاً قضى العمر في كشف الغوامض الطبيعيَّة والرياضيَّة ووضع الاساس لكثير من اعظم المباحث العليَّة والمكتشفات العصريَّة . والثاني شاب استتبَّ لهُ ان يستفيد من اكتشاف عالِم آخر ويستخدمهُ لنقل الاخبار والآن لا يذكر اسم الاول مرةً حتى يذكر اسم الثاني الف مرة

وهذه الشهرة التي حازها الثاني وفاق بها الاولَ لم تنتج عن كدهِ وجدهِ ولا عن استعدادهِ الاكتسابي والوراثي بل عن توفيق غريب الى ما منهُ نفع كبير ويمكن ان يكون استعمالهُ واسع النطاق جدًّا . وقس على ذلك كثيرين من الذين اشتهروا فاسروا الالسنة والاقلام حتى تغنَّت بمدحهم وسطَّرت اعمالهم في بطون الاسفار

ومزية الاسلوب الذي اختارهُ الاستاذ كاتل لترتيب المشاهير وتبويبهم انهُ خالٍ من الغرض من حيث اعتبار اصحاب هذه السير في عيون الاوربيين والاميركيين كأن جامع هذه الاسماء قاس شهرة اصحابها بالمتر والشبر ولم يتغرَّض لابناء جلدتهِ ولا تعصَّب على غيرهم وياحبذا لو استتبَّ لهُ ان يراجع بعض المعجمات العربيَّة كوفيات الاعيان او لو لم يكتفِ بالمعجمات بل تناول كتب السير العموميَّة والخصوصيَّة حتى يكون البحث اتم واقرب الى الصواب . لكنهُ اول مَن شرع في هذا البحث على هذا الاسلوب وعسى ان يقوم بعدهُ مَن يجبر نقصهُ

غير انهُ قال ان جمع هذه الاسماء جاء على سبيل العرض وانهُ لا يعلق عليهِ شأنًا كبيرًا ولكنهُ رآهُ مفيدًا في البحث عن الازمنة التي يظهر فيها المشاهير فوجد ما يراهُ كل مَن ينظر في تاريخ المشاهير وهو انهم ظهروا في ادوار متوالية ظهروا اولاً في دور اليونان فقام هوميروس وهسيود وليكرغس وتبعهم العمران اليوناني بفلاسفتهِ وعلمائهِ وشعرائهِ وصنَّاعهِ وابطالهِ ثم انحط بغتةً في القرن الثاني قبل المسيح وقام الرومان وبلغوا اوج عظمتهم في القرن الاخير قبل المسيح والقرن الاول بعدهُ وانحطُّوا رويدًا رويدًا الى ان دالت دولتهم في القرن الخامس والسادس ثم مضت ستة قرون او سبعة لم يرَ الكاتب في معجاتهِ ما يدلُّ على شيء من الارتقاء في اوربا

وهو مصيب في ذلك ولكنهُ لو فتَّش المعجمات العربيَّة لوجد ان هذه المدة التي حسبها انحطاطاً تامًّا في ربوع اوربا كانت زاهية زاهرة في كل الممالك العربية فقام منهم الشعراء والفقهاء والعلماء والفلاسفة والقواد وارباب السياسة والتجارة ثم دالت دولتهم منذ نحو خمس مئة سنة وعادت شمس العلم والشهرة الى ربوع اوربا في اوائل القرن الرابع عشر ولم تختص بامَّة واحدة من امم بل شملتها كلها تقريباً ومن ثم اخذ عدد المشاهير فيها وفي اميركا يتزايد على نسبة هندسيَّة ولكن ليس على معدل واحد فيها كلها ولا كان هذا التزايد مستمرًّا بل وقعت فيهِ فترات كثيرة كما حدث في اواخر القرن السابع عشر ثم عاد حتى بلغ اشدَّهُ في زمن الثورة الفرنسويَّة لانها مهدت السبيل لاشتهار القواد العظام ولولاها ما بلغوا الشهرة التي بلغوها

ويظهر من النظر في جنسيَّة هؤلاء الالف من المشاهير ان ٢٦٣ منهم من الفرنسويين . ٢٤٤ من الانكليز و ١٠٤ من الالمانيين و ٧٧ من الايطاليين و ٧٤ من الرومانيين و ٦٨ من اليونان و ٣٢ من الاميركيين ويأتي بعد الاميركيين الاسبانيون فالهالي سويسرا فهولندا فاسوج فروسيا فبقية الامم واذا قصرنا النظر على الخمس مئة الاولين او على المئة الاولى منهم فقط فاق الانكليز الفرنسويين وفاق اليونان الالمانيين

ثم ان الطرق التي اشتهر بها هؤلاء المشاهير مختلفة فبعضهم اشتهر بالعقليات كالعلماء والفلاسفة وهؤلاء كانوا على اقلهم في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة بالغة في آخرهِ ووقفوا او انحطوا قليلاً الى آخر القرن الخامس عشر وزادوا بعد ذلك الى اواسط القرن السادس عشر ثم وقفوا الى اواخرهِ واخذوا بعد ذلك يزيدون زيادة سريعة جدًّا

وبعضهم بالادبيات كالشعراء والمغنين وهؤلاء لم يكونوا شيئاً مذكوراً في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة مستمرة الى اواسط القرن السادس عشر وانحطوا كثيراً الى اواخرهِ ثم زادوا زيادة سريعة مستمرة

وبعضهم بالحرب والسياسة ونحو ذلك من الاعمال وهؤلاء زادوا في اواخر القرن الرابع عشر ثم نقصوا قليلاً من اواسط الخامس عشر الى اواخرهِ وزادوا بعد ذلك في اواسط القرن السادس عشر وانحطوا في اواخرهِ ثم عادوا الى الزيادة السريعة المستمرَّة حتى بلغوا اعظمهم في اواخر القرن الثامن عشر

وتختلف الامم الاوربيَّة ايضاً في نوع الشهرة التي يشتهرها رجالها فاكثر مشاهير الانكليز من رجال السياسة واكثر مشاهير الفرنسويين من قواد الجيوش واكثر مشاهير الايطاليين من المصورين ويقال جملة ان انكلترا فاقت غيرها في السياسة والشعر والفلسفة وفرنسا في قيادة الجيوش

والعلم والانشاء وايطاليا في التصوير والمانيا في الموسيقى . والموسيقيون العظام ١٨ عشرة منهم المانيون وستة ايطاليون . ومكتشفو البلدان العظام اربعة عشر خمسة منهم انكليز واربعة اسبانيون

وبلغ عدد الشهيرات في الالف الذين ذكرهم ٣٢ فقط احدى عشرة منهن ملكات شهرتهن وراثيّة على نوع ما و٨ اشتهرن بجمالهن او بما حل بهن من الرزايا او نحو ذلك و١٠ اشتهرن بالانشاء ثلاث منهن في الخمس مئة الاولى والمشهورون من الرجال فيها بالانشاء ٧٢

وواضح مما تقدم ان الكاتب اقتصر على المشاهير الذين لم يكونوا احياء حينما نُشرت الانسكلوبيذيا البريطانية منذ نحو عشرين سنة

هذا ومن المقرر ان نوع الانسان مديون لهؤلاء المشاهير بما حازهُ من الارتقاء علماً وعملاً فاذا كان ظهورهم بين الامم خاضعاً لناموس من النواميس الطبيعيّة فالبحث عنهُ واجب حتى اذا عُرف استطاعت الامم ان تكثر مشاهيرها فيزيد بهم تقدمها وارتقاؤها . وقد استطاع الانسان ان يجري على مثل هذا الناموس في تربية النباتات والحيوانات فولد منها اصنافاً فائقة في جودتها ولعلهُ لا يستطيع ان يتصرف في نسلهِ تصرفهُ في النبات والحيوان ولكنهُ يستطيع امراً لا يلام عليهِ بل يلام اذا لم يعتدَّ بهِ وهو ان يبسط موائد العلم والعرفان لدى ابناء نوعهِ على حدٍّ سوى اغنياء كانوا او فقراء . ثم يختار النجباء منهم ويمهد لهم كل سبل العلم والارتقاء حتى يفوز ذوو العقول الثاقبة والاستعداد الفطري للارتقاء كلٌّ في ما اهَّلتهُ الفطرة لهُ فتنتفع بلادهم منهم النفع الاكبر

ثم ان الشرقي الناظر في السطور المتقدمة يرى فيها ما يخيفهُ . يرى ادلَّة واضحة على ان للامم اعماراً كما للافراد يرى ان اليونان الذين دوَّخوا المسكونة في القرن الرابع قبل المسيح ونشروا فيها لسانهم وفلسفتهم وقام منهم اكبر الشعراء والفلاسفة الذين لا نزال نستقي من معين فلسفتهم الى الآن واعظم القواد الفاتحين والساسة المحنَّكين الذين يقتدى بهم في كل زمان ومكان عاشوا كأمَّة عظيمة بضع مئات من السنين ثم لم تقم لهم قائمة بعد ذلك . والرومان الذين اقتفوا خطواتهم وملكوا المسكونة ونشروا فيها شرائعهم وقوانينهم وبلغوا من العمران حدًّا قلَّما تعدَّاهُ من تبعهم عمَّروا ايضاً بضع مئات من السنين ثم دالت دولتهم . وقام بعدهم العرب فملكوا الخافقين واحيوا علوم اليونان ونشروا لواء العدل وقام منهم نوابغ الرجال ولكن دولهم عمرت بضع مئات من الاعوام ثم دالت وقامت بعدها الدول الاوربيّة التي نراها لهذا العهد بين شيخ وكهل وشاب . فهل قضي على الامم القديمة والامَّة العربيَّة في جملتها حتى لا تقوم لها قائمة بعد الآن ذلك بحث كبير نرجئهُ الى فرصة أُخرى